التَّسْدِيدُ

شرح حديث النزول

من كتاب التمهيد

للإمام الحافظ ابن عبد البر

أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر

القرطبي المالكي المتوفى ٤٦٣ هـ

عناية وتعليق

د. محمد يسري إبراهيم

نائب رئيس الجامعة الأمريكية المفتوحة



مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله العلي الأعلى، الذي خلق فسوَّى، والذي قدَّر فهدى، تفرد بعلو الذات، وعلو الأسماء والصفات، فثبتت له جميع الكمالات، وصلى الله وسلم وبارك على مَن قال لأمته يوم عرفة: «**أنتم تُسألون عني فما أنتم قائلون**»؟ قالوا: نشهد أنك قد بلَّغْتَ، وأدَّيْتَ، ونصحْتَ. فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكُتُها إلى الناس: «**اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ**». ثلاثَ مرات [١].

وصلِّ اللهم على آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومَن اقتفى أثرهم وسار على دربهم إلى يوم الدين، وبعد:

فإن نزاع أهل القبلة حول مسألة إثبات الصفات الإلهية قديم معروف، ولقد تقرَّر -بحمد الله- معتقد أهل السنة مِن الصحابة فمَن سار على دربهم في كل عصر ومِصر، بأوضح دليل وأقوم سبيل.

ولقد عشنا بُرهةً من دهرنا في بلادنا -مصر المحروسة- وفي غيرها وأعلامُ السنة ظاهرةٌ ومنشورة، وألوية البدعة منكَّسةٌ ومطمورة، حتى جاء ما يبعث الفتن، ويثير المحن، ويجدد الإحَنِ، فتحوَّل شبابٌ عن

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨/ ١٤٧).

جادَّة أسلافهم الصالحين إلى مُعْوَجِّ طرق المتكلمين، وانتحى آخرون إلى تالِف طرق المتصوفين، ونكَب آخرون عن منهاج السنة بأَسْرِه لِيلْتحِقَ بسبيل الرافضة الهالكين.

ومما أعان على وجود هذه الظاهرة الـمَرَضِيَّة غيرِ الـمَرْضِيَّة ضعفٌ علمي وتأصيلي حَلَّ في ربوع أهل السنة، بحيث قلَّت تلك المدارس العلمية وخبا شيء كثير مِن ضوئها، واشتغل البعض بإخوانه بدلًا مِن أعدائه! وانصرف آخرون إلى دعوة العامة عِوضًا عن تعليمِ وتربيةِ الخاصة، ومما زاد الطين بِلّة إقبال الدنيا على القلوب وانفساحها لها.

واجتمع مع هذا كله دعم داخلي وخارجي لأهل الأهواء والبدع، فهم في الداخل يُسلَّمون أَزِمَّةَ القيادة الدينية العامة، وهم في الخارج يؤسِّسون الاتحادات العالمية، ويُنشئون المؤتمرات الدولية، ويقيمون الكيانات المشبوهة، ويتسوَّلون على موائد الغرب الكافر والشرق الملحد، وغدا التواصِي عالميًّا بأن يكون التديُّن الغالب في الشرق الأوسط طرقيًّا وكلاميًّا فلسفيًّا!!

وما كان الإنسان يظُنُّ أن تنفتح كلُّ هذه الأبواب المغلقة على البدع والضلات، ولا أن ترتفع كل هذه المستور المرخاة على ألوان الانحرافات والمخالفات، وأنماط الأحزاب والتوجهات، التي لا جامع بينها إلا حرب هذا الإسلام العظيم، وتشويه وجهِ السُّنَّة الوضَّاء.

وما بالقلب مِن يأسٍ ولا بأسٍ -بحمد الله- فإن الله تعالى ناصرٌ دينه وسنة نبيه في كلِّ زمان ومكان، وهو سبحانه المتكفِّل بنصر أوليائه فوق كل أرض وتحت كل سماء، وهذه الحرب تشُدُّ -بحمد الله- ظهور أهل السنة، وتقوِّي قلوبهم، وتُعْجِمُ علومهم وفهومَهم، والحق أصيل باقٍ، والباطل دخيل زاهق.

ولما كان توحيد الله تعالى بأسمائه وصفاته مِن أعظم المهمات المتحتمات اشتدَّتْ عناية سلفنا الصالح بتأصيله وتفصيله، والاستدلال له وتعليله، فتارة يُفردون له المصنفات المستقلة، وأخرى يَعْرِضون له في ثنايا شروح الآيات البيِّنات والأحاديث المحكمات، ومِن ذلك النوع الثاني مِن العناية بتوحيد الصفات هذه الرسالة التي نقدِّم لها والاعتزازُ يملؤنا، والفخرُ بها يُتَوِّجُ هامات أهل السنة في كل عصر ومِصر وهذه الرسالة الجليلة هي شرح حديث النزول من موطأ الإمام مالك، والذي شرحه الإمام ابن عبد البر في كتابه الجليل التمهيد .

وأهمية هذه الرسالة ترجع لجملة أمور هي:

١- أن مؤلفها إمام متفق على إمامته وجلالته فتوثيقه والترضِّي عنه والإشارة إليه بمنصب الإمامة في الدين موضع اتفاق -بحمد الله- مِن أهل السنة جميعًا محدثين وفقهاء.

فأَمَّا المحدِّثون فيَعُدُّونه حافظ المغرب بلا مدافع، طال في علم الحديث عمره، وعلا فيه سنده، وسارت بتصانيفه الركبان، وخضع لفَرْط علمه علماء الزمان.

وأما الفقهاء فيَعُدُّونه ممن بلغ رتبة الأئمة المجتهدين، اتسع في الفقه علمه، وقَوِي فيه فهمه، وسال في أوديته ذهنه.

وأما في أصول الديانة وأبواب الاعتصام بالسنة والاتباع فلقد كان سلفيَّ الاعتقاد مَتِينَ الديانة، على مذهب السلف لم يدخل في علم الكلام؛ بل قفا آثار مشايخه رحمهم الله.

ذلكم هو العَلَم الضخم، والإمام الفخم، شيخ الإسلام، وحافظ المغرب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، القرطبي، الأندلسي، الإمام العلامة، المولود سنة ٣٦٨هـ، والمتوفى سنة ٤٦٣هـ، ليلة الجمعة عن خمس وتسعين سنة رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمة واسعة(١).

وهو صاحب «الكافي» في مذهب مالك، و«التمهيد»، و«الاستذكار»، و«جامع بيان العلم وفضله» والتي لو لم يكن له سواها لكفاه في علو قدره وارتفاع كعبه، كيف وهي بعض مؤلفاته وطَرَفٌ مِن مصنفاته.

---

(١) ينظر ترتيب المدارك (٨٥٨)، و الديباج المذهب (٣٢٨)، وتاريخ الإسلام للذهبي حوادث ووفيات سنة ٤٦١ – ٤٧٠هـ (٣١/ ١٤٢)، و سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٦١، ١٦٢).

اشتُهر رَحِمَهُ اللَّهُ بـ«ابن عبد البر»، وعُرف بسلامة المعتقَد، وطيب الأثر، وحسن الذِّكْر، وقبول الأمة، فما أعظمَ المنةَ على أهل السنة في كل عصر ومِصر!

قال في كتابه «جامع بيان العلم وفضله»: **«ليس في الاعتقاد في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصًا في كتاب الله، أو صحَّ عن رسول الله ﷺ، أو أجمعت عليه الأمة، وما جاء مِن أخبار الآحاد في ذلك كله أو نحوِه يُسلَّمُ له، ولا يُناظَرُ فيه»**[1].

وقال في مقدمة «تمهيده» مقرِّرًا قبول خبر الآحاد في مسائل الاعتقاد: **«الذي نقول به أنه يوجب العمل دون العلم كشهادة الشاهِدَين والأربعة سواء، وعلى ذلك أكثر أهل الفقه والأثر، وكلُّهم يَدِين بخبر الواحد العدل في الاعتقادات، ويُعادي ويُوالي عليها، ويجعلها شرعًا ودينًا في معتقده، على ذلك جماعة أهل السنة ولهم في الأحكام ما ذكرنا، وبالله توفيقنا»**[2].

٢- وُلِد الإمام بيقينٍ بعد وفاة أبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي وانتشار مذهبهما في الأمصار، فكان سُنيًّا وسلفيًّا، ولم يكن متكلِّمًا لا أشعرِيًّا ولا ماتُرِيديًّا؛ بل قال -ونِعمَ ما قال-: **«أجمع أهل الفقه والآثار مِن جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع**

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٤٣).
(٢) التمهيد (١/ ٣٠٢-٣٠٣).

وزيغ، ولا يُعَدُّون عند الجميع في طبقات الفقهاء، وإنما العلماء أهل الأثر والتفقُّه فيه، ويتفاضلون فيه بالإتقان والـمَيْزِ والفهم»[(١)].

ثم نقل كلام ابن خُوَيْزِ مَنْدادَ المصري المالكي المتوفَّى أواخر المائة الرابعة والذي فيه يقول: «**أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام، فكل متكلِّم فهو مِن أهل الأهواء والبدع، أشعريًّا كان أو غير أشعري، ولا تقبل له شهادة في الإسلام، ويُهجر ويؤدَّبُ على بدعته، فإن تمادى عليها استُتِيب منها**»[(٢)].

ثم قال إقرارًا لهذا الكلام من نفس الكتاب: «**ليس في الاعتقادات في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصًا في كتاب الله... إلخ**»[(٣)].

٣- وبناء على ما سبق فإن ما قرَّره هذا الإمام مِن منهج التعامل مع أحاديث الصفات هو صحيح مذهب السلف قبل أن يُعرف تأويل أو تعطيل، وقبل أن يُسمع تفويض للمعاني أو تحريف، وهذا المنهج المسلوك هو ما نقل عن خير القرون السالفات على الهدى، وهو ما قفاه شيخ الإسلام ابن تيمية ومَن جاء بعده في مدرسته، ومن ينظر

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٤٢).
(٢) المصدر السابق(٢/ ٩٤٣).
(٣) المصدر السابق (٢/ ٩٤٣).

في كلام ابن تيمية وتلامذته ويقارن بينه وبين كلام ابن عبد البر يعلم أنه يخرج من مشكاةٍ واحدةٍ مع كون ابن عبد البر مات قبل ولادة ابن تيمية بنحو قرنين من الزمان!

وليس هذا منهج ابن عبد البر على التحقيق ولا غيره؛ بل هو معتقد أهل الإسلام الصافي مِن لوثات فلسفة اليونان، وهرطقة المناطقة، وشُبَه المتكلِّمين، والحمد لله رب العالمين.

ويطيب لنا قبل الحديث عن هذه الرسالة وفحواها أن نُبَرْهِنَ على اتحاد منهج السالفين على الهدى، المجانِبينَ لسبل الرَّدَى مِن الأئمة الأعلام وشيوخ الإسلام، ولا سيما المتقدِّمين على زمن ابن عبد البر، وذلك في باب توحيد الأسماء والصفات جميعًا، ليقوم الدليل واضحًا والبرهان ساطعًا على صحة وثَبات واطِّراد هذا المنهج السلفي في مقابل التردُّدِ، والتذبذب، والحيرة، والتناقض عند الخلَف.

وعقيدةُ السلف في هذا الباب تقوم على الإيمان بالصفات جميعًا وحملِها على الحقيقة اللائقة بالله تعالى بغير تمثيل ولا تكييف، وفيما يأتي من الآثار برهان ذلك باختصار:

١- **قال عمر** رضي الله عنه لما قَدِم الشام واستقبله الناس وهو على بعيره، فقالوا: يا أمير المؤمنين، لو ركبت بِرْذَونًا تلقاك عظماء الناس

ووجوهُهم. فقال عمر: «**لا أراكم ههنا، إنما الأمر مِن ههنا - وأشار بيده إلى السماء - خَلُّوا سبيلَ جملي**»[(١)].

وهو يدل على وصف الله تعالى بالعلو، وجواز الإشارة إليه في السماء.

٢- وقال التابعي ربيعة بن عمرو الـجُرَشِي (ت:٦٤هـ): في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ**﴾ [الزمر: ٦٧].

قال:«**ويدُه الأخرى خِلْوٌ ليس فيها شيء**»[(٢)]. أفلا يدل هذا على كونه يُثْبِتُ اليدَ على الحقيقة اللائقة بجلال الله تعالى دون تأويلها بالنعمة، أو القدرة، أو القوة؟!

٣- وقال الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ اللهُ (ت:١٥٠هـ):

«**وله يد ووَجْهٌ ونفْسٌ كما ذكره الله تعالى في القرآن، فما ذكره الله تعالى في القرآن مِن ذكر الوجه، واليد، والنفس فهو له صفات بلا كيف، ولا يقال: يده قدرته أو نعمته، لأن فيه إبطال الصفة، وهو قول أهل القدر والاعتزال**»[(٣)].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٩)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٤٧)، وابن قدامة في صفة العلو (ص١١١)، والذهبي في العلو (ص٦٢) بإسناده إلى ابن أبي شيبة وقال: إسناده كالشمس.

(٢) أخرجه ابن جرير في التفسير (٢٤/ ٢٥)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٢/ ٥٠١).

(٣) الفقه الأكبر مع شرحه (ص٢٧).

٤- وقال الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ (ت:١٧٩هـ):

«**الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، فإني أخاف أن تكون ضالًّا**». وأمر به فأخرج[1].

٥- وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ (ت:٢٠٤هـ):

بعد أن ذكر الصفات وعدَّ عددًا منها: «**فإن هذه المعاني التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ مما لا يُدرك حقيقته بالفكر والرَّوِيَّة - فلا يَكْفُرُ بالجهل بها أحد إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها، فإن كان الوارد بذلك خبرًا يقوم في الفهم مقام المشاهدة في السماع وجبت الدَّيْنُونَةُ على سامعه بحقيقته، والشهادة عليه كما عاين وسمع مِن رسول الله ﷺ، ولكن يُثْبِتُ هذه الصفات وينفِي التشبيه كما نفَى ذلك عن نفسه تعالى ذِكْرُه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾**»[2] [الشورى: ١١].

٦- وقال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ (ت:٢٤١هـ): فيما ذكره عنه حنبل بن إسحاق

قال: «**قلت لأبي عبد الله: ينزل الله تعالى إلى سماء الدنيا؟ قال: نعم،**

---

(١) ينظر الرد على الجهمية (١٠٤)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة (٦٦٤).

(٢) طبقات الحنابلة في ترجمة الشافعي (١/ ٢٨٣)، وذكر طرفا منه ابن حجر في الفتح (١٣/ ٤٠٧).

قلت: نزوله بعلمه أم بماذا؟ قال: فقال لي: اسكُتْ عن هذا. وغضب غضبًا شديدًا، وقال: مالكَ ولهذا؟ أمضِ الحديث كما رُوِي بلا كيف»[١].

وقيل للإمام أحمد: إن الله ينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء من غير وصف؟ قال: «**نعم**»[٢].

وهو صريح في إثبات نزول حقيقي لا مجازي.

٧- وقال الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت:٢٧٩هـ):

«وقد قال غير واحد مِن أهل العلم في هذا الحديث وما يُشْبِهُ هذا مِن الروايات مِن الصفات ونزول الرب تبارك وتعالى كلَّ ليلة إلى السماء الدنيا قالوا: قد تثبت الروايات في هذا ويُؤمَنُ بها، ولا يُتوهَّمُ، ولا يُقال: كيف؟ هكذا رُوِي عن مالك، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث: أَمِرُّوها بلا كيف. وهكذا قول أهل العلم مِن أهل السنة والجماعة، وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات وقالوا: هذا تشبيهٌ»[٣].

---

(١) المختار من الإبانة تتمة الرد على الجهمية المجلد الثالث (١٨٤)، و شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٣/ ٤٥٣).

(٢) أخرجه أبو يعلى في إبطال التأويلات (١/ ٢٦٠)، و ينظر مجموع الفتاوى (٦/ ١٤٦).

(٣) ينظر سنن الترمذي (٣/ ٥٠).

وما قيمة اتهام الجهمية لأهل السنة بالتشبيه إذا لم يكن اعتقادهم إثبات الصفة على الحقيقة اللائقة به تعالى.

٨- وقال الإمام الدارمي (ت:٢٨٠هـ):

«**فادَّعى المعارِضُ أن الله لا ينزل بنفسه إنما ينزل أمره ورحمته...**» إلى أن قال: «وهذا أيضًا حُجَجُ النساء والصبيان ومَن ليس عنده بيان»(١).

وقال في إثبات صفة اليد: «**ووَلِي خلْقَ آدم بيده مَسِيسًا**»(٢).

وهو صريح في إثبات صفتي النزول واليد على الحقيقة التي تليق بجلال الله وكماله، ثم قال منكِرًا: «ونحن قد عرفنا - بحمد الله تعالى - مِن لغات العرب هذه المجازات التي اتخذتموها دُلْسة وأُغْلُوطة على الجهال، تنفون بها عن الله حقائق الصفات بعِلل المجازات»(٣).

٩- وقال الإمام الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت:٣١٠هـ):

«**والصواب مِن هذا القول عندنا أن نثبت حقائقها على ما نعرف مِن جهة الإثبات ونفي التشبيه، كما نفَى عن نفسه جلَّ ثناؤه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾**» [الشورى: ١١].

---

(١) الرد على المريسي (١/ ٢١٤).
(٢) الرد على المريسي (١/ ٢٣٠).
(٣) الرد على المريسي (٢/ ٨٥٥).

إلى أن قال: «فنُثْبِتُ كلَّ هذه المعاني التي ذكرنا أنها جاءت بها الأخبار، والكتاب، والتنزيل، على ما يُعقل مِن حقيقة الإثبات، وننفِي عنه التشبيه فنقول: يَسمع جل ثناؤه الأصوات لا بِخَرْقٍ في أذن، ولا جارحة كجوارح بني آدم، وكذلك يبصر الأشخاص ببصَرٍ لا يُشْبِهُ أبصار بني آدم التي هي جوارح لهم، وله يَدانِ، ويمينٌ، وأصابعُ، وليست جارحة ولكن يَدانِ مبسوطتانِ بالنِّعم على الخلق، لا مقبوضتانِ عن الخير، ووَجْهٌ لا كجوارح بني آدم التي مِن لحم ودم، ونقول: يضحك إلى مَن شاء مِن خلقه، لا نقول إن ذلك كشْر عن أنياب،ويهبط كل ليلة إلى سماء الدنيا»[1].

١٠- قال الإمام ابن خزيمة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٣١١هـ):

بعد ذكر آيتين كريمتين أولاهما قوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨]، وثانيهما قوله تعالى: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾[الرحمن: ٢٧]:

«وفي هاتين الآيتين دلالةٌ أن وجه الله صفة من صفات الله، صفات الذات، لا أن وجه الله هو الله، ولا أن وجْهَه غيرُه، كما زعمت المعطلة الجهمية...»[2].

---

(١) التبصير في معالم الدين (ص١٤١- ١٤٥).
(٢) التوحيد (١/ ٥٢).

١١- وقال الإمام محمد بن علي الكَرَجي المعروف بالقصَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٦٠هـ):

قال في الاعتقاد القادري الذي وقع التصديق عليه مِن القاضي أبي يعلى وأبي الحسن القزويني وغيرهما: «**لا يوصف إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به نبيه، وكل صفة وصف بها نفسه أو وصفه بها نبيه فهي صفة حقيقية لا صفة مجاز، ولو كانت صفة مجاز لتحتم تأويلها، ولقيل: معنى البصر كذا، ومعنى السمع كذا. ولفُسِّرت بغير السابق إلى الأفهام، فلما كان مذهبُ السلف إقرارَها بلا تأويل عُلم أنها غير محمولة على المجاز، وإنما هي حق بيِّن**»[1].

وقال ابن أبي يعلى في سياق معتقد والده في طبقات الحنابلة: «**وما ذكرناه مِن الإيمان بأخبار الصفات مِن غير تعطيل، ولا تشبيه، ولا تفسير، ولا تأويل، وهو قول السلف بدءًا وعودًا، وهو الذي ذكره أمير المؤمنين القادر -رضوان الله عليه- في الرسالة القادرية، قال فيها: «وما وصف الله سبحانه به نفسه أو وصفه به رسول الله ﷺ فهو صفات الله عَزَّ وَجَلَّ على حقيقته لا على سبيل المجاز». وعلى هذا الاعتقاد جمع أمير المؤمنين القادر بأمر الله رضوان الله عليه مَن حضره مع الوالد السعيد -**

---

(١) ينظر المنتظم لابن الجوزي في حوادث سنة ٤٣٣هـ، ودرء التعارض (٦/ ٢٥٤)، والصواعق المرسلة (٤/ ١٢٨٨)، وسير أعلام النبلاء (١٦/ ٢١٣ - ٢١٤).

أي القاضي أبي يعلى - مِن علماء الوقت، وزاهدهم أبو الحسن القزويني سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة وأخذ خطوطهم باعتقاده»[١].

وبعد: فقد كان هذا أنموذجًا لما عليه السلف -بمجموعهم بلا مدافعة- من إثبات الصفات، وتحاشي التأويل، والتمثيل، والتكييف، ولولا ضرورة الاقتصار والاختصار لأتينا بأضعاف هذه الآثار في كل طبقة مِن الطبقات -بحمد الله تعالى- فلينظر امرؤ لنفسه فيما يعتقد في صفات ربه، والحاصل أن أسلافنا مِن لدن أصحاب نبينا يؤمنون بصفات الله تعالى ويُثبتونها إثبات وجود وكيفية لا إثبات علم بالكيفية، ويوجبون حملها على الحقيقة اللائقة بجلاله وكماله تعالى ويحملونها على ظاهرها المتبادر، ويَنْفُون عنها التمثيل، والتأويل، ويتحاشون التفويض في معناها، ويقولون: القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر.

ولقد كان لهذا الشرح لحديث مِن أحاديث «الموطأ» أهمية بالغة وذلك للمنهج المنفرد الذي نحاه أبو عمر ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ، ونشير إلى هذه المعالم المنهجية بشيء مِن الإيجاز ليكون طريقًا يقتفى فيه أثره رَحِمَهُ اللَّهُ:

أولًا: رأينا الإمام يُثبِّت أولًا هذا الحديث ويوثِّقه ويتكلم عن رواياته ورجاله، تثبيت الأصل المستنَدِ إليه في بيان العقيدة.

---

(١) طبقات الحنابلة (٣/ ٣٩١ - ٣٩٢).

ثانيًا: ثم تناول إثبات العلو والفوقية له تعالى، وذلك لأن النزول يدل عليه، وعرَّج على إثبات الاستواء على العرش لأنه في جهة العلو أيضًا، وذكر الآيات الدالة على الاستواء مقرونة بآيات تدل على الاستعلاء، وعرَّض بأقوال الجهمية المخالفين منكِرًا لها.

ثالثًا: تناول أقوال المخالفين وشبهاتهم بالتفنيد، ورد على دعوى المجاز في الاستواء، وبين أن الأصل في الكلام الحقيقية وحدَّد معنى الاستواء في اللغة، وردَّ أثرًا مُنكَرًا عن ابن عباس يستدل به المخالفون.

رابعًا: رتَّب الأدلة على العلو ترتيبًا صحيحًا فجاء بدلالة الفطرة على العلو، ثم ثنَّى بالأدلة النقلية، ثم ثلَّث بالأدلة العقلية، ونفَى جريان القياس بينه تعالى وبين خلقه.

خامسًا: تناول صفة النزول ببيان الموقف الصحيح منها، وذكر عقيدة أهل السنة في باب الصفات إجمالًا، وانتقد طريقة المتكلمين المتأوِّلين، وردَّ على مَن نقَل التأويل عن الإمام مالك وغيره، كما ردَّ على المتكلمين المفوِّضين لمعاني الصفات.

سادسًا: في ثنايا ردِّه أثبت الرؤية لله تعالى في الآخرة، وردَّ الشبهة الواردة حول الرؤية.

سابعًا: استكمل شرح الحديث ببيان فضيلة الاستغفار وأهميته، والدعاء في ثلث الليل الآخر ومزيَّته.

كل هذا الإمتاع في شرح حديث النزول، فهذا الشرح بحق يستحق أن يُفرد في مصنَّف، وأن يُشرح في مؤلَّف.

وإذا كان هذا معتقَد حافظ المغرب المتوفَّى سنة ٤٦٣هـ فهو أيضًا -- معتقَد حافظ المشرق الخطيب البغدادي المتوفَّى نفس السنة حيث قال: **«أما الكلام في الصفات فإن ما رُوِي منها في السنن الصحاح مذهب السلف - رضوان الله عليهم - إثباتُها وإجراؤُها على ظواهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها، وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله سبحانه، وحقَّقها قومٌ مِن المثبِتين فخرجوا في ذلك إلى ضَرْبٍ مِن التشبيه والتكييف، والقصدُ إنما هو سلوك الطريقة المتوسطة بين الأمرين، ودين الله تعالى بين الغالي فيه، والمقصِّر عنه، والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع الكلام في الذات، ويُحتذَى في ذلك حذوه ومثاله.**

فإذا كان معلومًا أن إثبات رب العالمين ﷻ إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف، فإذا قلنا: لله تعالى يد، وسمع، وبصر. فإنما هي صفات أثبتها الله تعالى لنفسه، ولا نقول: إن معنى اليد القدرة، ولا: إن معنى

السمع والبصر العلم، ولا نقول: إنها جوارح. ولا نشَبِّهها بالأيدي، والأسماع، والأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل، ونقول: إنما وجب إثباتها لأن التوقيف ورَد بها، ووجب نفيُ التشبيه عنها لقوله تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، **وقوله ﷻ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾»**[1] [الإخلاص: ٤].

ولأهمية هذه الرسالة من الناحية العلمية، وأصالتها من الناحية المنهجية، وعمقها من الناحية التاريخية رأينا أنه من الأهمية بمكان إفراد هذه الرسالة القيمة بالطبع مع خدمتها ما أمكن؛ لعرضها على جمهور عريض من القراء بغية الدلالة على المنهج الحق في مسألة الصفات، وإيقاف عدد كبير منهم على ما فيها من القواعد والأصول والضوابط القيمة التي يحتاج إليها في ضبط هذا الباب.

وقد اقتصر عملنا في الرسالة على ما يلي:

١- قراءتها قراءة متأنية و استخلاص منهج الإمام ابن عبد البر في عرض هذا الحديث، وبيان معالم هذا المنهج، وتأكيد ذلك بنقل كلام أهل العلم المتقدمين من سلف الأمة الصالحين.

---

(١) رسالة الصفات للخطيب (ص٣)، وقد روَى هذا الأثر الذهبيُّ في السير(١٨/ ٢٨٣-٢٨٤) بسنده إلى الخطيب.



٢- شرح الغريب من الكلمات.

٣- تخريج الأحاديث والآثار، ونقل حكم أهل العلم عليها ما أمكن.

٤- عزو أقوال العلماء إلى مصدرها ما أمكن.

٥- وضع عناوين توضيحية لمسائل الرسالة.

وهذه الرسالة أخيرًا مهداة إلى إخواننا الذين زلَّت بهم القدم في باب العقيدة في الله تعالى وصفاته، وما أعظمه مِن باب، وهي مهداة كذلك إلى ناشئة أهل السنة ليدرجوا مدرج أسلافهم، وليقتفوا أثر نبيهم ﷺ، والله تعالى هو الهادي إلى سواء السبيل.

فاللهم أَرِنا بفضلك الحق حقًّا وارزقنا اتباعه، وأَرِنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، وثبِّتْ يا رب على الحق قلوبنا، وصرِّف يا رب على الطاعة جوارحنا وجوانحنا، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه

أبو عبد الله

د. محمد يسري إبراهيم

ليلة السبت ١٧/١/ ١٤٣١ هـ

الموافق: ١/١/٢٠١٠م

القاهرة- مدينة نصر

حديث النزُول

وحدثني عن مالك[١]، عن ابن شهاب، عن أبي عبد الله الأَغَرِّ، وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**يَنْزِلُ ربُّنا تبارك وتعالى كلَّ ليلةٍ إلى السماء الدنيا حينَ يَبْقَى ثلثُ الليلِ الآخِرُ فيقولُ: مَنْ يَدْعُونِي فأستجيبَ له؟ مَنْ يَسألُنِي فأُعطيَه؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فأَغْفِرَ له؟**»[٢].

طرق الحديث ودرجته

هذا حديث ثابت من جهة النقل، صحيح الإسناد، لا يختلف أهل الحديث في صحته، رواه أكثر الرواة عن مالك هكذا كما رواه يحيى، ومن رواة «الموطأ» مَن يرويه عن مالك، عن ابن شهاب، عن أبي عبد الله الأغر، لا يذكر أبا سلمة، **وهو حديث منقول من طرق متواترة، ووجوه كثيرة من أخبار العدول عن النبي صلى الله عليه وسلم**، وقد رُوِي عن الحنيني، عن مالك، عن الزهري، عن أبي عبيد مولى ابن عوف، عن أبي هريرة رضي الله عنه، ولا يصح هذا الإسناد عن مالك وهو عندي وهم، وإنما هو عن

(١) أي يحيى بن يحيى الليثي الأندلسي، وهو راوي الموطأ عن مالك.
(٢) أخرجه البخاري (١١٤٥، ٦٣٢١، ٧٤٩٤)، ومسلم (٧٥٨/ ١٦٨) من طرق عن مالك به.

الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وكذلك لا يصح فيه رواية عبد الله بن صالح، عن مالك، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وصوابه عن الزهري، عن الأعرج وأبي سلمة، جميعًا عن أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه زيد بن يحيى بن عبيد الدمشقي، وروح بن عبادة، وإسحاق بن عيسى الطباع، عن مالك، عن الزهري، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الشرح التفصيلي للحديث

١- الاستدلال على علو الله تعالى واستوائه على عرشه:

وفيه دليل على أن الله عز وجل في السماء على العرش من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة، وهو من حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم: «**إن الله عز وجل في كل مكان وليس على العرش**». والدليل على صحة ما قاله أهل الحق في ذلك قول الله عز وجل: ﴿**ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ**﴾ [طه: ٥]، وقوله عز وجل: ﴿**ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ**﴾ [السجدة: ٤]، وقوله: ﴿**ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ**﴾ [فصلت: ١١]. وقوله: ﴿**إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا**﴾ [الإسراء: ٤٢]. وقوله تبارك اسمه: ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ**﴾ [فاطر: ١٠]. وقوله

تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. وقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦]. وقال جل ذكره: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]. وهذا من العلو، وكذلك قوله: ﴿ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. و: ﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩]. و: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥].و: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

والجهمي يزعم أنه أسفل، وقال جل ذكره: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥]. وقوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]. وقال لعيسى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]. وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾[النساء: ١٥٨]. وقال: ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [فصلت: ٣٨]. وقال: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩]. وقال: ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ [المعارج: ٢،٣]. والعروج هو الصعود، وأما قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ﴾ [الملك: ١٦]. فمعناه: من على السماء يعني: على العرش، وقد يكون «في» بمعنى «على» ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فَسِيحُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [التوبة: ٢]. أي: على الأرض، وكذلك قوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]. وهذا

كله يعضده قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤].

وما كان مثله مما تلونا مِن الآيات في هذا الباب، وهذه الآيات كلها واضحات في إبطال قول المعتزلة.

٢ ـ الرد على من قال: استوى بمعنى استولى:

وأما ادعاؤهم المجاز في الاستواء، وقولهم في تأويل: ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾: استولى. فلا معنى له؛ لأنه غير ظاهر في اللغة، ومعنى الاستيلاء في اللغة: المغالبة، والله لا يغالبه ولا يعلوه أحد، وهو الواحد الصمد، **ومِنْ حَقِّ الكلام أن يُحمل على حقيقته حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز**، إذ لا سبيل إلى اتباع ما أُنزل إلينا من ربنا إلا على ذلك، وإنما يوجَّه كلامُ الله ﷻ إلى الأشهر والأظهر مِن وجوهه، ما لم يمنع مِنْ ذلك ما يجب له التسليم، ولو ساغ ادِّعاء المجاز لكلِّ مُدَّعٍ ما ثبت شيء من العبارات، **وجَلَّ اللهُ ﷻ عن أن يخاطِبَ إلا بما تفهمه العرب في معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين**، والاستواء معلوم في اللغة ومفهوم، وهو العلو والارتفاع على الشيء، والاستقرار والتمكُّنُ فيه، قال أبو عبيدة، في قوله: ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾، قال: علا. قال: وتقول العرب: استويت فوق الدابة، واستويت فوق البيت. وقال غيره: استوى أي: انتهى شبابه واستقر، فلم يكن في شبابه مزيد.

قال أبو عمر: الاستواء الاستقرار في العلو، وبهذا خاطبنا الله ﷻ، وقال: ﴿**لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ**﴾[الزخرف:١٣]. وقال: ﴿**وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ**﴾ [هود: ٤٤]، وقال: ﴿**فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ**﴾ [المؤمنون: ٢٨]. وقال الشاعر[1]:

فــأَوْرَدْتُهم مــاءً بفيفــاءَ قَفْــرَةٍ   وقَدْ حَلَّق الـنَّجْمُ اليَمانِيُّ فاسْـتَوَى

وهذا لا يجوز أن يتأول فيه أحد «استولى». لأن النجم لا يستولي، وقد ذكر النضر بن شُمَيْلٍ -وكان ثقةً مأمونًا جليلًا في علم الديانة واللغة- قال: حدثني الخليل -وحسْبُك بالخليل- قال: أتيت أبا ربيعة الأعرابي، وكان مِن أعلم مَنْ رأيتُ، فإذا هو على سطح، فسلمنا فردَّ علينا السلام، وقال لنا: استووا. فبَقِينا متحيِّرين ولم نَدْرِ ما قال. قال: فقال لنا أعرابي إلى جنبه: إنه أمَرَكم أن ترتفعوا. قال الخليل: «هو من قول الله ﷻ: ﴿**ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ**﴾» [فصلت: ١١]، فصَعِدنا إليه فقال: هل لكم في خبزٍ فَطِيرٍ، ولَبَنٍ هَجِيرٍ[2]، وماءٍ نَمِيرٍ[3]؟ فقلنا:

---

(١) البيت بدون نسبة في العين (٣/ ١٢٦)، وتهذيب اللغة- (٤/ ١٥٦)، وتفسير القرطبي (١/ ٢٥٤)، (٧/ ٢٢٠)، وفي العين والتهذيب برواية: «وصبحتهم»، بدلا من: «فأوردتهم».

(٢) هجير: أي فائق فاضل، يقال: هذا أهجر من هذا، أي: أفضل منه، ويقال في كل شيء. النهاية في غريب الحديث (٥/ ٥٥٧).

(٣) الماء النمير: الناجع في الري. النهاية في غريب الحديث (٥/ ٢٤٩).

الساعة فارقناه. فقال: سلامًا. فلم نَدْرِ ما قال، فقال الأعرابي: إنه سالمكم متاركة لا خير فيها ولا شر. قال الخليل:«هو من قول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَـٰمًا ﴾» [الفرقان: ٦٣][١].

٣- الردُّ على أثرٍ ضعيفٍ باتفاق:

وأما نزعُ مَنْ نزَع منهم بحديث يرويه عبد الله بن داود، الواسطي، عن إبراهيم بن عبد الصمد، عن عبد الوهاب بن مجاهد، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]. استولى على جميع بَرِيَّتِه، فلا يخلو منه مكان.

فالجواب عن هذا: أن هذا حديث منكر عن ابن عباس، ونَقَلَتُه مجهولون ضعفاء؛ فأما عبد الله بن داود الواسطي وعبد الوهاب ابن مجاهد فضعيفان، وإبراهيم بن عبد الصمد مجهول لا يعرف، وهم لا يَقْبَلُون أخبار الآحاد العدول، فكيف يسوغ لهم الاحتجاج بمثل هذا من الحديث لو عقَلوا أو أنصفوا ! أما سمعوا الله ﷻ حيث يقول: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا﴾ [غافر: ٣٦-٣٧].

(١) أخرجه الذهبي في العلو للعلي الغفار (ص١١٨) من طريق النضر به مختصرًا.

فدل على أن موسى عليه السلام كان يقول: إلهي في السماء. وفرعون يظنه كاذبًا.

فسبحانَ مَنْ لا يقدِرُ[1] الخلْقُ قدْرَهُ ... ومَنْ هو فوقَ العرشِ فَرْدٌ مُوَحَّدُ

مَلِيكٌ على عرشِ السماء مُهَيْمِنُ ... لِعِزَّتِه تَعْنُو الوُجُوهُ وتَسْجُدُ

وهذا الشعر لأميَّةَ بنِ أبي الصَّلْتِ[2]، وفيه يقول في وصف الملائكة:

فساجِدُهم لا يَرْفَعُ الدَّهْرَ رأْسَه ... يُعَظِّمُ ربًّا فَوْقَه ويُمَجِّدُ

(١) في مصدر التخريج: «يعرف».
(٢) ديوانه ص (٥٨-٥٩).

٤ـ الرد على شبهات إثبات صفة العلو

الشبهة الأولى والرد عليها:

قال أبو عمر: فإن احتجوا بقول الله ﷻ: ﴿**وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ**﴾ [الزخرف: ٨٤]. وبقوله: ﴿**وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ**﴾ [الأنعام: ٣]. وبقوله: ﴿**مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ**﴾ الآية [المجادلة: ٧].

وزعموا أن الله تبارك وتعالى في كل مكان بنفسه وذاته تبارك وتعالى، قيل لهم: لا خلاف بيننا وبينكم وبين سائر الأمة أنه ليس في الأرض دون السماء بذاته، فوجب حمل هذه الآيات على المعنى الصحيح المجتمَعِ عليه، وذلك أنه في السماء إله معبود من أهل السماء، وفي الأرض إله معبود من أهل الأرض، وكذلك قال أهل العلم بالتفسير، فظاهر التنزيل يشهد أنه على العرش، والاختلاف في ذلك بيننا فقط، وأسعدُ الناس به مَن ساعَده الظاهرُ.

وأما قوله في الآية الأخرى: ﴿**وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ**﴾، فالإجماع والاتفاق قد بيَّن المراد بأنه معبود من أهل الأرض، فتدبَّرْ هذا فإنه قاطع إن شاء الله.

دليل الفطرة على العلو:

ومن الحجة أيضًا في أنه ﷻ على العرش فوق السماوات السبع أن

الموحدين أجمعين مِن العرب والعجم إذا كرَبهم أمرٌ أو نزلت بهم شدة رفعوا وجوههم إلى السماء يستغيثون ربهم -تبارك وتعالى- وهذا أشهَرُ وأعرَفُ عند الخاصة والعامة مِن أن يُحتاج فيه إلى أكثر مِن حكايته؛ لأنه اضطرار لم يؤنِّبْهم عليه أحد، ولا أنكره عليهم مسلم.

الدليل النقلي على العلو:

وقد قال ﷺ للأَمَةِ التي أراد مولاها عتقَها إن كانت مؤمنة، فاختبَرَها رسولُ الله ﷺ بأن قال لها: «**أين الله؟**». فأشارت إلى السماء، ثم قال لها: «**من أنا؟**». قالت: رسول الله، قال: «**أعتقها فإنها مؤمنة**»[1]. فاكتفى رسول الله ﷺ منها برفعها رأسها إلى السماء، واستغنى بذلك عما سواه.

أخبرنا عبيد بن محمد، قال: حدثنا عبد الله بن مسرور، قال: حدثنا عيسى بن مسكين، قال: حدثنا محمد بن سنجر، قال: حدثنا أبو المغيرة، قال: حدثنا الأوزاعي، قال: حدثنا يحيى بن أبي كثير، عن هلال بن أبي ميمونة، عن عطاء بن يسار، عن معاوية ابن الحكم رضي الله عنه قال: اطَّلَعْتُ غنيمةً لي ترعاها جاريةٌ لي في ناحية أُحُدٍ، فوجدتُ الذئبَ قد أصاب شاةً منها، وأنا رجل من بني آدم آسَفُ كما يأْسَفُون، فصككْتُها صَكَّةً، ثم انصرفتُ إلى النبي ﷺ فأخبرتُه، فعظَّم ذلك عليَّ. قال: فقلتُ يا

---

(١) أخرجه مسلم (٥٣٧/ ٣٣) من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه.

رسول الله، فهلَّا أُعْتِقُها؟ قال: «**فأْتِني بها**». قال: فجئتُ بها إلى النبي ﷺ، فقال لها: «**أين الله؟**». فقالت: في السماء، فقال: «**مَن أنا؟**». قالت: أنتَ رسولُ الله. قال: «**إنها مؤمنة، فأعتقها**»[1]. مختصر، أنا اختصرته مِن حديثه الطويل، مِن رواية الأوزاعي، وهو مِن حديث مالك أيضًا، وسيأتي في موضعه مِن كتابنا إن شاء الله.

الدليل العقلي على العلو:

وأما احتجاجهم: لو كان في مكان لأشبهَ المخلوقات؛ لأن ما أحاطت به الأمكنةُ واحْتَوَتْه مخلوقٌ. فشيءٌ لا يَلْزَمُ ولا معنى له؛ لأنه ﷻ ليس كمثله شيء مِنْ خلْقِه، ولا يُقاس بشيء مِنْ بريَّتِه، لا يدرك بقياس، ولا يقاس بالناس، لا إله إلا هو، كان قبل كل شيء، ثم خلق الأمكنة، والسماوات، والأرض وما بينهما، وهو الباقي بعد كل شيء، وخالق كل شيء لا شريك له، وقد قال المسلمون وكل ذي عقل: إنه لا يعقل كائن لا في مكان مِنَّا، وما ليس في مكان فهو عدم. وقد صح في المعقول، وثبت بالواضح مِن الدليل أنه كان في الأزل لا في مكان وليس بمعدوم فكيف يُقاس على شيء مِنْ خلقه أو يَـجْرِي بينه وبينهم تمثيلٌ أو تشبيهٌ؟ تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا، الذي لا يُبْلَغُ مِنْ وصفه

(١) أخرجه مسلم (٥٣٧/ ٣٣) من طريق حجاج الصواف عن يحيى بن أبي كثير به.

إلا إلى ما وصف به نفسه، أو وصفه به نبيه ورسوله، أو اجتمعت عليه الأمة الحنيفية عنه.

شبهة ثانية والرد عليها:

فإن قال قائل منهم: إنا وصفنا ربنا أنه كان لا في مكان، ثم خلق الأماكن فصار في مكان، وفي ذلك إقرار منا بالتغيير والانتقال؛ إذ زال عن صفته في الأزل، وصار في مكان دون مكان؟

قيل له: وكذلك زعمتَ أنتَ أنه كان لا في مكان وانتقل إلى صفة هي الكونُ في كل مكان، فقد تغيَّر عندك معبودُك وانتقل من لا مكان إلى كل مكان. وهذا لا يَنْفَكُّ منه؛ لأنه إن زعم أنه في الأزل في كل مكان كما هو الآن فقد أوجب الأماكن والأشياء موجودة معه في أزله، وهذا فاسد.

فإن قيل: فهل يجوز عندك أن ينتقل مِن لا مكان في الأزل إلى مكان؟ قيل له: أما الانتقال وتغيُّرُ الحال فلا سبيل إلى إطلاق ذلك عليه لأن كونه في الأزل لا يُوْجِبُ مكانًا، وكذلك نَقْلُه لا يوجب مكانًا، وليس في ذلك كالخلق؛ لأنه كوَّن ما كَوْنُه يُوْجِبُ مكانًا مِنَ الخلق، ونُقْلَتُه توجب مكانًا ويصير منتقلا مِن مكان إلى مكان، والله ﷻ ليس كذلك؛ لأنه في الأزل غير كائن في مكان، وكذلك نقلته لا توجب مكانًا، وهذا ما لا تَقْدِرُ العقول على دفعه، ولكنا نقول: استوى مِن لا

مكان إلى مكان. ولا نقول: انتقل. وإن كان المعنى في ذلك واحدا، ألا ترى أنا نقول: له عرش. ولا نقول: له سرير. ومعناهما واحد، ونقول: هو الحكيم. ولا نقول: هو العاقل. ونقول: خليلُ إبراهيمَ. ولا نقول: صَدِيقُ إبراهيمَ. وإن كان المعنى في ذلك كله واحدًا، لا نسمِّيه ولا نَصِفُه ولا نُطْلِقُ عليه إلا ما سمَّى به نفسه، على ما تقدَّم ذكرُنا له مِنْ وصفه لنفسه، لا شريك له، ولا نَدْفَعُ ما وصف به نفسه؛ لأنه دفْعٌ للقرآن، وقد قال الله ﷻ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]. وليس مجيئُه حركةً، ولا زوالًا، ولا انتقالًا؛ لأن ذلك إنما يكون إذا كان الجائي جسمًا أو جوهرًا، فلما ثبَت أنه ليس بجسم ولا جوهر لم يَجِبْ أن يكون مجيئه حركة ولا نقلة، ولو اعتبرتَ ذلك بقولهم: جاءت فلانًا قيامتُه. و: جاءه الموتُ. و:جاءه المرضُ. وشِبْهِ ذلك مما هو موجود نازل ولا مجيء لَبانَ لك، وبالله العصمةُ والتوفيقُ.

شبهة ثالثة والرد عليها:

فإن قال: إنه لا يكون مستويا على مكان إلا مقرونًا بالتكييف؟

قيل: قد يكون الاستواء واجبًا والتكييفُ مرتفِعٌ، وليس رفعُ التكييف يوجب رفعَ الاستواء، ولو لزم هذا لَزِم التكييفُ في الأزل؛ لأنه لا يكون

كائن في لا مكان إلا مقرونًا بالتكييف، وقد عقَلنا وأدركنا بحواسِّنا أن لنا أرواحًا في أبداننا ولا نعلم كيفية ذلك، وليس جهلنا بكيفية الأرواح يوجب أن ليس لنا أرواح، وكذلك ليس جهلنا بكيفية: «على عرشه». يوجب أنه ليس على عرشه.

أخبرنا عبد الوارث بن سفيان، قال: حدثنا قاسم بن أصبغ، قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخزاعي، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن يعلى بن عطاء، عن وكيع بن حُدُسٍ، عن عمه أبي رَزِينٍ العُقيلي رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أين كان ربنا - تبارك وتعالى- قبل أن يخلق السماء والأرض؟ قال: «**كان ما فوقَه هواءٌ، وما تـحْتَه هواءٌ، ثُمَّ خلَق عَرْشَه على الماءِ**»[1].

قال أبو عمر: قال غيره في هذا الحديث: «كان في عَمَاء، فوقه هواء، وتحته هواء». والهاء في قوله: «فوقه». و«تحته». راجعة إلى العَماء، وقال أبو عبيد[2]: العَماء هو الغمام وهو ممدود. وقال ثعلبٌ: هو «عمى» مقصور، أي: في عمًى عن خلقه، والمقصود الظُّلَم، ومن عَمِي عن شيء فقد أَظْلم عليه.

---

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي(١٠٩٣)، وأحمد (٤/ ١١)، وابن ماجه (١٨٢)، والترمذي (٣١٠٩)، وقال: «هذا حديث حسن»، وابن حبان في صحيحه (٦١٤١) من طرق عن حماد بن سلمة به.

(٢) غريب الحديث (٢/ ٨).

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن، قال: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا سريج بن النعمان، قال: حدثنا عبد الله بن نافع، قال: **قال مالك بن أنس** رضي الله عنه: **الله عز وجل في السماء، وعلمه في كل مكان، لا يخلو منه مكان**[1].

قال: وقيل لمالك: ﴿**ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ**﴾ [طه: ٥]، كيف استوى؟ فقال مالك رحمه الله: استواؤه معقول، وكيفيته مجهولة، وسؤالك عن هذا بدعة، وأراك رجلَ سَوْءٍ.

شبهة رابعة والرد عليها:

وقد رُوِّينا عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أنه قال في قول الله عز وجل: ﴿**ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ**﴾ [طه: ٥]. مثلَ قول مالك هذا سواء.

وأما احتجاجهم بقوله عز وجل: ﴿**مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟**﴾ [المجادلة: ٧]. فلا حجة لهم في ظاهر هذه الآية؛ لأن علماء الصحابة

(١) السنة لعبد الله بن أحمد (١١) ورجاله ثقات، ومن طريقه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٦٧٣)، ومن طريقه ابن قدامة في إثبات صفة العلو (ص١١٥).

والتابعين الذين حُمِلت عنهم التأويل في القرآن قالوا في تأويل هذه الآية: هو على العرش وعلمُه في كل مكان. وما خالفهم في ذلك أحد يُحْتَجُّ بقوله.

ذكر سنيد عن مقاتل بن حيان، عن الضحاك بن مزاحم في قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]. الآية، قال: «هو على عرشه، وعلمه معهم أينما كانوا»[(١)]. قال: وبلغني عن سفيان الثوري مثله[(٢)].

قال سنيد: وحدثنا حماد بن زيد، عن عاصم ابن بهدلة، عن زر ابن حبيش، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «الله فوق العرش، لا يخفى عليه شيء مِن أعمالكم»[(٣)].

قال سنيد: وحدثنا هشيم، عن أبي بشر، عن مجاهد قال: «إن بين العرش وبين الملائكة سبعين حجابًا؛ حجاب مِن نور، وحجاب مِن ظلمة»[(٤)].

وأخبرنا إبراهيم بن شاكر، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن عثمان،

---

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٤١)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٣/ ١٥٣) من طرق عن نوح بن ميمون، عن بكير بن معروف، عن مقاتل بن حيان به، وإسناده حسن.

(٢) سيأتي في (ص ٤١).

(٣) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (٥٩٤)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٣/ ١٧٢) من طريق المسعودي عن عاصم بن بهدلة به، وإسناده حسن.

(٤) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (٣٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٢٩٤) من طريق هشيم به، ورجاله ثقات.

قال: حدثنا سعيد بن خمير وسعيد بن عثمان، قالا: حدثنا أحمد بن عبد الله بن صالح، قال: حدثنا يزيد بن هارون، عن حماد ابن سلمة، عن عاصم ابن بهدلة، عن زر، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «ما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام، وما بين كل سماء إلى الأخرى مسيرة خمسمائة عام، وما بين السماء السابعة إلى الكرسي مسيرة خمسمائة، والعرش على الماء، والله تبارك وتعالى على العرش يعلم أعمالكم»[١].

قال أبو عمر: لا أعلم في هذا الباب حديثًا مرفوعًا إلا حديث عبد الله بن عميرة، وهو حديث مشهور بهذا الإسناد، رواه عن سماك جماعة؛ منهم أبو خالد الدالاني[٢]، وعمرو بن أبي قيس[٣] وشعيب بن خالد[٤]، وابن أبي المقدام[٥]، وإبراهيم بن طهمان[٦]، والوليد بن أبي ثور، وهو حديث كوفي.

---

(١) أخرجه الدارمي في الرد الجهمية (٨١)، و ابن خزيمة في التوحيد (١٤٩)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٣٩٦) من طرق عن عاصم به، ورجاله ثقات.

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٢٠٥) من طريق أبي خالد الدالاني به بدون ذكر العباس.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٢٤)، والترمذي (٣٣٢٠) من طريق عمرو بن أبي قيس به.

(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٠١) من طريق شعيب به.

(٥) أخرج أبو نعيم في تاريخ أصبهان (٢/ ٢) من طريق عمرو بن ثابت أبي المقدام به.

(٦) ابن طهمان في مشيخته (١٨)، ومن طريقه أبو داود (٤٧٢٥).

أخبرنا عبد الله بن محمد، قال: حدثنا محمد، بن بكر، قال: حدثنا أبو داود، وأنبأنا عبد الوارث، حدثنا قاسم حدثنا محمد بن إسماعيل، قالا: حدثنا محمد بن الصباح الدولابي البزاز، قال: حدثنا الوليد بن أبي ثور، عن سماك، عن عبد الله بن عميرة، عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نظر إلى سحابة مرَّتْ، فقال: «**ما تُسَمُّون هذه؟**». قالوا: السحاب. قال: «**والْـمُزْنَ؟**». قالوا: والمزنَ. قال: «**والعَنانَ؟**». قالوا: نعم، قال: «**كم تَرَوْنَ بينكم وبينَ السماءِ؟**». قالوا: لا ندري. قال: «**بينكم وبينَها إمَّا واحدةٌ، أو اثنتانِ، أو ثلاثٌ وسبعون سنةً، والسماءُ فوقَها كذلك، بينَهما مثلُ ذلك** - حتى عَدَّ سبعَ سماواتٍ - **ثُمَّ فوقَ السماءِ السابعةِ بَحْرٌ بينَ أَعْلاه وأَسْفَلِه كما بينَ سماءٍ إلى سماءٍ، ثُمَّ فوقَ ذلك ثمانيةُ أَوْعالٍ**[1] **بينَ أَظْلافِهم ورُكَبِهم مثلُ ما بينَ سماءٍ إلى سماءٍ**[2]**، ثم الله فوق ذلك**»[3].

---

(١) الوعول تُيوسُ الجَبَل واحِدُها وَعِلٌ. بكسر العين. النهاية في غريب الحديث (٥/ ٤٥٤).

(٢) بعده في مصادر التخريج: «ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء».

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب العرش (٩)، وأحمد في المسند (١/ ٢٠٦)،وأبو داود (٤٧٢٣)، والترمذي (٣٣٢٠)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه (١٩٣)، والدارمي في الرد على الجهمية (٧٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣١٦)، والعقيلي في الضعفاء (٢/ ٢٨٤)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٢٥) من طرق عن سماك بن حرب به.

وفي رواية فروة بن أبي المغراء هذا الحديث عن الوليد بن أبي ثور، قال في الأوعال: «**ما بينَ رءُوسِهم إلى أَظْلافِهم مثلُ ذلك** -يعني ما بينَ سماءٍ إلى سماءٍ- **ثُمَّ فوقَهم العرشُ، ما بينَ أعلاه وأسفلِه مثلُ ذلك، ثُمَّ اللهُ فوقَ ذلك**»[1]. وفيه حديث جبير بن مُطْعِمٍ مرفوعا أيضًا.

وأخبرنا عبد الوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ، قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثنا يحيى بن معين، قال: حدثنا وهب بن جرير، قال: حدثنا أبي، قال: سمعت محمد بن إسحاق يحدث، عن يعقوب بن عتبة، عن جبير بن محمد بن جبير ابن مطعم، عن أبيه، عن جده قال: أتى النبيَّ ﷺ أعرابيٌّ، فقال: يا رسولَ الله، جُهِدت الأنفسُ، وضاع العيالُ، ونُهِكت الأموالُ، فاستسقِ اللهَ لنا؛ فإنا نستشفِعُ بك على الله، ونستشفِعُ بالله عليك. فقال رسول الله ﷺ: «**وَيْحَكَ، أتدرِي ما تقولُ؟**». وسبَّح رسولُ الله ﷺ، فما زال يسبِّح حتى عُرِف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: «**وَيْحَكَ، إنه لا يُستشفَعُ بالله على أَحَدٍ مِنْ خلْقِه، شأنُ الله أعظمُ مِنْ ذلك، وَيْحَكَ، وتَدْرِي ما اللهُ؟ إنَّ اللهَ على عَرْشِه، على سماواتِه وأَرْضِه لَهَكَذا**» -وأشار بأصابعه الخمس مثلَ القُبَّة، وأشار يحيى

---

(١) أخرجه محمد بن عثمان بن أبي شيبة في كتاب العرش (٩).

بن معين بأصابعه كهيئة القبة- «وإنَّه لَيَئِطُّ أَطِيطَ الرَّحْلِ بالراكبِ»[(١)].

أخبرني أبو القاسم خلف بن القاسم، قال: حدثنا عبد الله بن جعفر بن الورد، قال: حدثنا أحمد بن إسحاق بن واضح، قال: حدثنا أبو داود سليمان بن الأشعث، قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي، قال: حدثنا علي بن الحسن بن شقيق، قال: حدثنا عبد الله بن موسى الضبي، عن معدان، قال: سألت سفيان الثوري عن قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]. قال: عِلْمُه. قال علي بن الحسن: وسمعت ابن المبارك يقول: إن كان بخُراسانَ أحدٌ مِنَ الأبدال فهو مَعْدانُ[(٢)].

قال أبو داود: وحدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي، قال: حدثنا يحيى بن موسى وعلي بن الحسن بن شقيق، عن ابن المبارك قال: الرب تبارك وتعالى على السماء السابعة، على العرش. قيل له: بحَدٍّ ذلك؟ قال: نعم، هو على العرش فوق سبع سموات[(٣)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢٦)، وابن أبي عاصم في السنة (٥٧٥)، وابن خزيمة في التوحيد (١٤٧)، والطبراني (٢/ ١٢٨) من طرق عن وهب بن جرير به، وصححه الألباني في ظلال السنة (١/ ٢٥٢).

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (٥٩٧)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٦٧٢) من طريق علي بن الحسن به. ووقع عند اللالكائي: «علي بن الحسين». وقال الذهبي في العلو (ص١٠٣): «هذا الأثر ثابت عن معدان».

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (٥٩٨)، والدارمي في الرد على الجهمية (٦٧) من طريق علي بن الحسن به، وإسناده صحيح.

قال: وحدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي، قال: حدثني محمد بن عمرو الكلابي، قال: سمعت وكيعًا يقول: كفَرَ بشرٌ المريسي في صفته هذه، قال: هو في كل شيء. قيل له: وفي قَلَنْسُوتِك هذه؟ قال: نعم، قيل له: وفي جوف حمار؟ قال: نعم!!

وقال عبد الله بن المبارك: إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية.



٥ ـ إثبات صفة النزول

وأما قوله ﷺ في هذا الحديث: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا**». فقد أكثر الناسُ التنازعَ فيه، والذي عليه جمهور أئمة أهل السنة أنهم يقولون: «يَنْزِلُ». كما قال رسول الله ﷺ، ويصدِّقون بهذا الحديث ولا يُكيِّفون، والقولُ في كيفية النزول كالقول في كيفية الاستواء والمجيء، والحجةُ في ذلك واحدةٌ، وقد قال قوم من أهل الأثر أيضًا: إنه ينزل أمره، وتنزل رحمته. وروي ذلك عن حبيبٍ كاتبِ مالكٍ وغيرِه، وأنكره منهم آخرون، وقالوا: هذا ليس بشيء؛ لأن أمرَه ورحمتَه لا يزالانِ ينزلانِ أبدًا في الليل والنهار، وتعالى الملك الجبار الذي إذا أراد أمرًا قال له: كن. فيكون، في أي وقت شاء، ويختص برحمته من يشاء متى شاء، لا إله إلا هو الكبير المتعال.

وقد روى محمد بن علي البَجَلِيُّ -وكان من ثقات المسلمين بالقيروان- قال: حدثنا جامع بن سَوادةَ بمصرَ، قال: حدثنا مطرِّف عن مالك بن أنس، أنه سئل عن الحديث: «**إن الله ينزل في الليل إلى سماء**

الدنيا». فقال مالك: يتنزل أمره[(١)]. وقد يحتمل أن يكون كما قال مالك رَحِمَهُ اللَّهُ على معنى أنه تتنزل رحمته وقضاؤه بالعفو والاستجابة، وذلك مِن أمره؛ أي أكثر ما يكون ذلك في ذلك الوقت، والله أعلم، ولذلك ما جاء فيه الترغيب في الدعاء، وقد رُوِي من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: يا رسول الله، أي الليل أسمع؟ قال: «**جَوْفُ اللَّيلِ الغابِرِ**». يعني الآخِر[(٢)]، وهذا على معنى ما ذكرنا، ويكون ذلك الوقت مندوبًا فيه إلى الدعاء كما نُدِب إلى الدعاء عند الزوال، وعند النداء، وعند نزول غيث

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكذلك ذكرت هذه رواية عن مالك رويت من طريق كاتبه حبيب بن أبي حبيب لكن هذا كذاب باتفاق أهل العلم بالنقل لا يقبل أحد منهم نقله عن مالك، ورويت من طريق أخرى ذكرها ابن عبد البر وفي إسنادها من لا نعرفه». مجموع الفتاوى (٥/ ٤٠١ -٤٠٢).
وقال ابن القيم: «فإن المشهور عنه -يعني مالكا- وعن أئمة السلف إقرار نصوص الصفات والمنع من تأويلها، وقد روى عنه أنه تأول قوله: «ينزل ربنا». بمعنى نزول أمره، وهذا الرواية لها إسنادان؛ أحدهما من طريق حبيب كاتبه، وحبيب هذا غير حبيب بل هو كذاب وضاع باتفاق أهل الجرح والتعديل، ولم يعتمد أحد من العلماء على نقله، والثاني فيه مجهول لا يعرف حاله، فمِنْ أصحابه من أثبت هذه الرواية، ومنهم من لم يثبتها؛ لأن المشاهير من أصحابه لم ينقلوا عنه شيئًا من ذلك». مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٢٦١).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ١٧٩)، وأبو داود (١٢٧٧)، والنسائي (١٣٠٨)، وابن حبان (٢٥٦٤) بإسناد حسن رجاله ثقات غير أبي خالد المهاجر ففيه لين. انظر: تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٨٧).

السماء، وما كان مثله من الساعات المستجاب فيها الدعاء، والله أعلم.

وقال آخرون: ينزل بذاته.

أخبرنا أحمد بن عبد الله أن أباه أخبره، قال: حدثنا أحمد بن خالد، قال: حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح بمصر، قال: سمعت نعيم بن حماد يقول: **حديث النزول يَرُدُّ على الجهمية قولهم. قال: وقال نعيم: ينزل بذاته وهو على كرسيه.**

قال أبو عمر: ليس هذا بشيء عند أهل الفهم من أهل السنة؛ لأن هذا كيفية وهم يَفْزَعون منها؛ لأنها لا تصلح إلا فيما يُحاط به عِيانًا، وقد جلَّ الله وتعالى عن ذلك.

عقيدة أهل السنة في صفات الله تعالى:

وما غاب عن العيون فلا يصفه ذوو العقول إلا بخبر، ولا خبرَ في صفات الله إلا ما وصف نفسه به في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، فلا نتعدَّى ذلك إلى تشبيه، أو قياس، أو تمثيل، أو تنظير، فإنه ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير.

قال أبو عمر: **أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئًا من ذلك، ولا يَحُدُّون فيه صفة محصورة، وأما**

أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلُّها والخوارج فكلهم ينكرها، ولا يحمل شيئًا منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أَقَرَّ بها مُشَبِّهٌ، وهم عندَ مَنْ أثبتها نافون للمعبود، والحقُّ فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله، وهم أئمة الجماعة، والحمد لله.

روى حرملة بن يحيى، قال: سمعت عبد الله بن وهب يقول: سمعت مالك بن أنس يقول: مَن وصف شيئًا من ذات الله مثل قوله: ﴿**وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ**﴾ [المائدة: ٦٤]. وأشار بيده إلى عنقه، ومثل قوله: ﴿**وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ**﴾ [الشورى: ١١]. فأشار إلى عينيه، أو أذنيه، أو شيءٍ مِن بدنه قُطِع ذلك منه؛ لأنه شبَّه اللهَ بنفسه. ثم قال مالك: أما سمعتَ قول البراء حين حدَّث أن النبي ﷺ قال: «**لا يُضَحَّى بأَرْبَعٍ مِنَ الضَّحايا**». وأشار البراء رضي الله عنه بيده كما أشار النبي ﷺ بيده، قال البراء رضي الله عنه: ويدي أَقْصَرُ مِنْ يَدِ رسول الله ﷺ[1]. فكره البراء رضي الله عنه أن يصف رسول الله ﷺ إجلالًا له وهو مخلوق فكيف الخالق الذي ليس كمثله شيء!

أخبرنا عبد الله بن محمد، قال: حدثنا محمد بن بكر، حدثنا أبو داود، حدثنا هارون بن معروف، حدثنا سفيان، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يزال الناس**

---

(١) ينظر موطأ مالك (٢/ ٤٨٢)، ومسند أحمد (٤/ ٣٠١)، و ابن ماجه (٣١٤٤)، وسنن النسائي (٤٣٧٠)، وابن ماجه (٣١٤٤)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٩١٢).

يتساءلون حتى يقولوا هذا: خلَق اللهُ الخلْقَ، فمَنْ خلَق اللهَ؟ فمَنْ وجَد مِنْ ذلك شيئًا فليقل: آمنتُ بالله»[١].

وأخبرنا عبد الله، حدثنا محمد، حدثنا أبو داود، حدثنا محمد بن عمرو، حدثنا سلمة بن الفضل، حدثني محمد بن إسحاق، قال: حدثني عتبة بن مسلم - مولى بني تميم - عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ، فذكر نحوَه، قال: «**فإذا قالوا ذلك فقولوا: اللهُ أَحَدٌ، اللهُ الصَّمَدُ، لم يَلِدْ، ولم يُوْلَدْ، ولم يَكُنْ له كُفُوًا أَحَدٌ. ثُمَّ لْيَتْفُلْ عَنْ يسارِه ثلاثًا، ولْيَسْتَعِذْ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرَّجِيمِ**»[٢].

وروى عن محمد ابن الحنفية أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى تكون خصومة الناس في ربهم»[٣]. وقد رُوِي ذلك مرفوعًا عن النبي ﷺ[٤].

وقال سحنون: «مِن العلم بالله الجهل بما لم يخبر به عن نفسه». وهذا

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢١)، وهذا لفظه، وأصله في صحيح البخاري بلفظ: «لن يبرح الناس يتساءلون حتى يقولوا هذا الله خالق كل شيء فمن خلق الله». من حديث أنس، وأخرجه مسلم (١٣٤/ ٢١٢) من طريق هارون بن معروف به، ولفظه: «لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا خلق الله الخلق فمن خلق الله»؟ فمن وجد من ذلك شيئًا فليقل آمنت بالله».

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٣٨٧)، وأبو داود (٤٧٢٢)، وأخرجه النسائي في الكبرى (١٠٤٩٧) من طريق ابن إسحاق به، وصححه الألباني في الصحيحة (١/ ٢٣٥).

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٥/ ١١٣)، والدارمي في الرد على الجهمية (٢٢)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢١٣).

(٤) أخرجه المصنف في جامع بيان العلم وفضله (١٧٨٣) من حديث أبي هريرة، ورجح الدارقطني في علله (١٠/ ١٦٧) وقفه على ابن الحنفية دون رفعه.

الكلام أخذه سحنون عن ابن الماجشون قال: أخبرني الثقة، عن الثقة، عن الحسن بن أبي الحسن قال: لقد تكلم مطرِّف ابن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه على هذه الأعواد بكلامٍ ما قِيل قبْلَه ولا يقالُ بعدَه. قالوا: وما هو يا أبا سعيد؟ قال: قال: «**الحمد لله الذي من الإيمان به الجهلُ بغير ما وصف به نفسه**».

أخبرنا أحمد بن محمد، قال: حدثنا الحسن بن سلمة، قال: حدثنا ابن الجارود، قال: حدثنا إسحاق بن منصور قال: قلت لأحمد بن حنبل: «**يَنْزِلُ ربُّنا تبارك وتعالى كلَّ ليلةٍ حينَ يَبْقَى ثُلُثُ الليلِ الآخِرِ إلى السماء الدنيا**». أليس تقول بهذه الأحاديث؟ و: «**يَرَى أهلُ الجنةِ ربَّهم**»[(١)]؟ وبحديث: «**لا تُقَبِّحوا الوجوهَ فإنَّ اللهَ خلَق آدمَ على صورته**»[(٢)]؟ و: «**اشتكتِ النارُ إلى ربِّها**»[(٣)]؟ «**حتى يضعَ اللهُ فيها قدَمه**»[(٤)]؟ وأن موسى عليه السلام لطَم ملك الموت، صلوات الله عليه[(٥)]؟ قال أحمد: «كل هذا صحيح». وقال إسحاق: «كل هذا صحيح، ولا يَدَعُه إلا مبتدِعٌ أو ضعيفُ الرأْيِ».

---

(١) سيأتي (ص٥٩) من حديث جرير البجلي.
(٢) أخرجه البخاري (٣٤٠٧)، ومسلم (٢٣٧٢/ ١٥٨) من حديث أبي هريرة.
(٣) أخرجه البخاري (٥٣٧)، و مسلم (٦١٧/ ١٨٥) من حديث أبي هريرة.
(٤) أخرجه البخاري (٧٤٤٩)، ومسلم (٢٨٤٦/ ٣٦) من حديث أبي هريرة.
(٥) أخرجه البخاري (٣٤٠٧)، ومسلم (٢٣٧٢/ ١٥٨) من حديث أبي هريرة.

قال أبو عمر: الذي عليه أهل السنة وأئمة الفقه والأثر في هذه المسألة وما أشبهها الإيمان بما جاء عن النبي ﷺ فيها، والتصديق بذلك، وترك التحديد والكيفية في شيء منه.

أخبرنا أبو القاسم خلف بن القاسم، قال: حدثنا عبد الله بن جعفر بن الورد، قال: حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا أبو داود، قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم، عن أحمد بن نصر أنه سأل سفيان بن عيينة قال: حديث عبد الله: «**إنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَجْعَلُ السماءَ على إصْبَعٍ**»[1]. وحديث: «**إنَّ قُلُوبَ بني آدمَ بينَ إصْبَعَيْنِ مِنْ أصابعِ الرَّحْمنِ**»[2]. و: «**إنَّ اللهَ يَعْجَبُ أو يَضْحَكُ مِمَّنْ يَذْكُرُه في الأسواقِ**»[3]. و: «**إنَّه عَزَّوَجَلَّ يَنْزِلُ إلى السماءِ الدنيا كلَّ ليلةٍ**». ونحو هذه الأحاديث؟ فقال: هذه الأحاديث نَرْوِيها ونُقِرُّ بها كما جاءت بلا كيف[4].

قال أبو داود: وحدثنا الحسن بن محمد، قال: سمعت الهيثم ابن خارجة، قال: حدثني الوليد بن مسلم، قال: سألت الأوزاعي،

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤١٤)، وهذا لفظه، ومسلم (٢٧٨٦/ ٢١)، ولفظه: «إن الله يمسك السماوات على إصبع».

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٤/ ١٧).

(٣) ينظر المختار من الإبانة تتمة الرد على الجهمية المجلد الثالث (١٨١و١٠٤) فقد ذكره عن أبي صالح الحنفي وابن الهذيل موقوفًا عليهما، والعلو للذهبي (ص ١١٦) وقال الألباني في تعليقه على مختصر العلو (ص١٦٥): «كذا في الأصول كلها، ولعل فيها شيئًا فإني لم أعرف الحديث يذكر الأسواق» اهـ.

(٤) المراسيل لأبي داود (٧٥).

وسفيان الثوري، ومالك ابن أنس، والليث بن سعد، عن هذه الأحاديث التي جاءت في الصفات، فقالوا: أَمِرُّوها كما جاءت بلا كيف(١).

وذكر عباس الدوري، قال: سمعت يحيى بن معين يقول: شهدت زكريا ابن عدي سألتُ وكيع بن الجراح، فقال: يا أبا سفيان، هذه الأحاديث؛ يعني مثل حديث: «**الكُرْسِيُّ مَوْضِعُ القَدَمَيْنِ**»(٢). ونحو هذا؟ فقال: أدركتُ إسماعيل بن أبي خالد، وسفيان، ومِسْعَرًا يحدِّثون بهذه الأحاديث، ولا يفسِّرون شيئًا(٣).

---

(١) أخرجه الآجري في الشريعة (٧٢٠)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٨٧٥)، وذكره الذهبي في مختصر العلو (ص١٤٢)، وصحح الألباني إسناده.

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (٥٨٦)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٣٩)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣١٠)، وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه، عن ابن عباس موقوفا.

(٣) تاريخ ابن معين برواية الدوري (٣/ ٥٢٠)، وأخرجه الدارقطني في الصفات (٥٧)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٩٢٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٧٦٠) من طريق الدوري به.

ويجدر التنبيه هنا على مسألة مهمة وهي نسبة التفويض في المعنى إلى مذهب السلف رضي الله عنهم، وهذا ليس بصحيح كما ظن بعض الناس؛ بل مذهبهم التفويض في الكيف فقط دون المعنى كما هو منصوص عن مالك وشيخه ربيعة الرأي وغيرهما، و العلماء الذين رُوي عنهم قولهم: لا نفسرها. وكذا قولهم: لا كيف ولا معنى. ونحو ذلك من الكلام المجمل هم أنفسهم نصُّوا على الإيمان بمعاني هذه الصفات، وحملها على الحقيقة لا المجاز، وإجرائها على ظاهرها مع نفي التشبيه والتمثيل والتكييف، أما نفي المعنى عندهم فإن كان المراد به حقيقة الصفة وكنهها فيكون عطف المعنى على الكيف عطف تفسير، وهذا لا يختلف أحد أنه لا سبيل إليه، وعليه فلا إشكال، أو يقال: إن المراد بالمعنى هنا المعاني الباطلة التى ابتدعها قوم من تفسير اليد بالقدرة أو النعمة، وتفسير النزول بنزول أمره أو=

قال عباس بن محمد الدوري: وسمعت أبا عبيد القاسم بن سلام، وذكر له عن رجل مِن أهل السنة أنه كان يقول: هذه الأحاديث التي تُرْوَى في الرؤية، و: «**الكُرْسِيُّ مَوْضِعُ القَدَمَيْنِ**». و: «**ضَحِك ربُّنا مِن قُنُوطِ عبادِه**»[1]. و: «**إنَّ جَهَنَّمَ لا تَـمْتَلِئُ**[2]». وأشباه هذه الأحاديث، وقالوا: إن فلانا يقول: يقع في قلوبنا أن هذه الأحاديث حقٌّ. فقال: ضَعَّفْتُم عندي أمرَه، هذه الأحاديث حقٌّ لا شكَّ فيها، رواها الثقاتُ بعضُهم عن بعض، إلا أنا إذا سُئلنا عن تفسير هذه الأحاديث لم نفسِّرْها ولم نذكر أحدًا يفسرها[3].

=رحمته ونحو ذلك. فالذي قصدوه من نفي التفسير هو تفسير أهل التكييف، والتشبيه وضرب الأمثال لها، وما في ثنايا هذه الرسالة المباركة من أقوال الأئمة الأربعة وغيرهم كالترمذي، والطبري، وابن خزيمة يوقفك على هذه الحقيقة، وحسبك من حكاية ابن عبد البر إجماع أهل السنة على الإقرار بالصفات الواردة وأنها على الحقيقة لا المجاز، ففيه كفاية للمنصف. ينظر الشرح الميسر على الفقهيين الأبسط والأكبر (ص٢٧، ١٣٥) لأبي حنيفة، وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (ص ١٥٠، ١٨٢-١٨٣)، والتبصير في معالم الدين للطبري (ص ١٤٤، ١٤٥)، والتوحيد لابن خزيمة (١/ ٢٦، ٥٢)، و رسالة الصفات للخطيب البغدادي، وشرح السنة للبغوي (١/ ١٦٨ - ١٧١)، و سير أعلام النبلاء (١٧/ ٦٥٦).

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١١)، وابن ماجه (١٨١) من حديث أبي رزين العقيلي.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦/ ٣٥). ولفظ البخاري: «فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول قط قط». ولفظ مسلم: «فأما النار فلا تمتلئ فيضع قدمه عليها فتقول قط قط».

(٣) أخرجه الدارقطني في الصفات (٥٧)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٩٢٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٧٦٠) من طريق الدوري به.

وقد كان مالك يُنْكِرُ على مَنْ حدَّث بمثل هذه الأحاديث، ذكره أصبغ وعيسى عن ابن القاسم قال: سألتُ مالكًا عمَّن يحدِّث الحديث: «**إنَّ اللهَ خلَق آدمَ على صورتِه**». والحديث: «**إنَّ اللهَ يَكْشِفُ عَنْ ساقِه يومَ القِيامةِ**»[١]. وأنه يدخل في النار يدَه حتى يُخرِجَ مَن أراد[٢]، فأنكر ذلك إنكارًا شديدًا، ونهى أن يحدِّث به أحد[٣]، وإنما كَرِه ذلك مالكٌ خشيةَ الخوض في التشبيه بكيف ههنا.

وأخبرنا أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا أحمد بن خالد، قال: سمعت ابن وضاح يقول: سألت يحيى بن معين عن التنزل؟ فقال: أَقِرَّ به ولا تَحُدَّ فيه بقولٍ، كلُّ مَنْ لَقِيتُ من أهل السنة يصدِّقُ بحديث التنزل.

قال: وقال لي ابن معين: صدِّقْ به ولا تَصِفْه[٤].

وحدثنا أحمد بن سعيد بن بشر، قال: حدثنا ابن أبي دليم، قال: حدثنا ابن وضاح، قال: سألت يحيى بن معين عن التنزل؟ فقال: أَقِرَّ به ولا تَحُدَّ فيه.

وأخبرنا محمد بن عبد الملك، قال: حدثنا عبد الله بن يونس، قال: حدثنا

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩١٩) من حديث أبي سعيد الخدري.
(٢) أخرجه مسلم (١٨٣/ ٣٠٢) من حديث أبي سعيد الخدري بلفظ «فيقبض قبضة من النار..».
(٣) الأثر ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٨/ ١٠٣، ١٠٤) من طريق ابن القاسم به.
(٤) ذكره ابن قدامة في ذم التأويل (٣٦).

بقي بن مخلد، قال: حدثنا بكار بن عبد الله القرشي، قال: حدثنا مهدي بن جعفر، عن مالك بن أنس، أنه سأله عن قول الله ﷻ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. كيف استوى؟ قال: فأَطْرَق مالكٌ ثم قال: استواؤه [غير][(١)] مجهول، والفعل منه غير معقول، والمسألة عن هذا بدعة[(٢)].

قال بقي: وحدثنا أيوب بن صالح المخزومي بالرملة، قال: كنا عند مالك إذ جاءه عراقي، فقال له: يا أبا عبد الله، مسألة أريد أن أسألك عنها، فطأطأ مالك رأسه، فقال له: يا أبا عبد الله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. كيف استوى؟ قال: سألت عن غير مجهول، وتكلمت في غير معقول، إنك امرؤ سوء. أخرجوه. فأَخَذوا بضَبْعَيْه فأَخْرَجوه.

وقال يحيى بن إبراهيم بن مُزَيْنٍ: «إنما كَرِه مالك أن يتحدث بتلك الأحاديث لأن فيها حَدًّا وصفةً وتشبيهًا، والنجاةُ في هذا الانتهاءُ إلى ما قال الله ﷻ ووصف به نفسه؛ بوجهٍ، ويدَيْنِ، وبَسْطٍ، واستواءٍ، وكلامٍ، فقال: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾[البقرة: ١١٥]. وقال: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]. وقال: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ

---

(١) سقط من النسخ المطبوعة التي بين أيدينا، والمثبت من مصادر التخريج، وهو الصواب كما في الأثر الذي بعده، وقد تقدم في (ص ٣٤) نقل عن مالك أن الاستواء معقول وأن المجهول هو الكيفية.

(٢) ينظر الاعتقاد للبيهقي (ص ٤٣)، والأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٣٠٤)، ذم التأويل لابن قدامة (١١)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٨/ ١٠١) بإسناد صحيح إلى مالك.

وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]. وقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. فليقل قائلٌ بما قال اللهُ، ولْيَنْتَهِ إليه ولا يَعْدُوه، ولا يفسِّرْه، ولا يَقُلْ: كيف؟ فإن في ذلك الهلاكَ؛ لأن الله كلَّف عبيدَه الإيمان بالتنزيل، ولم يكلِّفْهم الخوض في التأويل الذي لا يَعْلَمُه غيره».

وقد بلغني عن ابن القاسم أنه لم يَرَ بأسًا برواية الحديث: «**إنَّ اللهَ ضَحِك**». وذلك لأن الضَّحِكَ مِن الله، والتنزلَ، والملالة، والتعجب منه ليس على جهةِ ما يكونُ مِنْ عبادِه.

٦- انتقاد ابن عبد البر طريقة المتكلّمين مِن الأشعرية وغيرهم

قال أبو عمر: الذي أقول: إنه مَنْ نظَر إلى إسلام أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، وسعد، وعبد الرحمن، وسائر المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، وجميع الوفود الذين دخلوا في دين الله أفواجا- عَلِم أن الله عز وجل لم يَعْرِفْه واحد منهم إلا بتصديق النبيين بأعلام النبوة، ودلائل الرسالة، لا من قِبَل حركة، ولا مِنْ باب الكلِّ والبعضِ، ولا مِنْ باب «كان» و «يكون»، ولو كان النظرُ في الحركة والسكون عليهم واجبًا، وفي الجسم ونفيه، والتشبيه ونفيه لازمًا ما أضاعوه، ولو أضاعوا الواجِبَ ما نطَق القرآنُ بتزكيتهم وتقديمهم، ولا أطنب في مدحهم وتعظيمهم، ولو كان ذلك مِنْ عملِهم مشهورًا، أو مِنْ أخلاقِهم معروفًا لاستفاض عنهم ولشُهِروا به كما شُهِروا بالقرآن والروايات، وقولُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم: «**يَنْزِلُ ربُّنا إلى السماءِ الدنيا**». عندَهم مثلُ قول الله عز وجل: ﴿**فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ**﴾ [الأعراف: ١٤٣]. ومثل قوله: ﴿**وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا**﴾ [الفجر: ٢٢]. كلهم يقول: **ينزل، ويتجلى، ويجئ، بلا كيف. لا يقولون: كيف يجيء؟ وكيف يتجلى؟ وكيف ينزل؟ ولا: مِنْ أين جاء؟ ولا: مِنْ أين تجلى؟ ولا:**

مِنْ أين ينزل؟ لأنه ليس كشيء مِنْ خلْقِه، وتعالى عن الأشياء، ولا شريك له، وفي قول الله ﷻ: ﴿**فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ**﴾ [الأعراف: ١٤٣]. دلالة واضحة أنه لم يكن قبل ذلك متجلِّيًا للجبل، وفي ذلك ما يفسِّرُ معنى حديث التنزيل، ومَنْ أراد أن يقِفَ على أقاويل العلماء في قوله ﷻ: ﴿**فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ**﴾ [الأعراف: ١٤٣]. فلينظر في تفسير بقي بن مخلد، ومحمد بن جرير[1]، ولْيَقِفْ على ما ذَكَرا مِنْ ذاك، ففيها ذكرا منه كفاية، وبالله العصمة والتوفيق.

---

(١) ينظر تفسير ابن جرير (٩/ ٥٢ ـ ٥٤)

٧- إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة

وفي قول الله ﷻ: ﴿فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. دلالة واضحة لمن أراد الله هداه أنه يُرى إذا شاء، ولم يشأ ذلك في الدنيا بقوله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]. وقد شاء ذلك في الجنة بقوله: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]. ولو كان لا يراه أهل الجنة لما قال: ﴿فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. وفي هذا بيان أنه لا يُرى في الدنيا؛ لأن أبصار الخلائق لم تُعْطَ في الدنيا تلك القوة، والدليل على أنه مـُمْكِنٌ أن يُرى في الآخرة شرْطُه في الرؤية ما يُمْكِنُ مِنِ استقرار الجبل، ولا يستحيل وقوعُه، ولو كان محالًا كونُ الرؤيةِ لقَيَّدها بما يستحيل وجودُه، كما فعل بدخول الكافرين الجنة، قُيِّد قبل ذلك بما يستحيل مِنْ دخول الجمل في سَمِّ الخياط، ولا يشُكُّ مسلمٌ أن موسى كان عارفًا بربه وما يجوزُ عليه، فلو كان عنده مستحيلًا لم يسأله ذلك، ولكان بسؤاله إياه كافرًا، كما لو سأله أن يتخذ شريكًا أو صاحبة، وإذا امتنع أن يُرى في الدنيا بما ذكرنا لم يكن لقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾. وجهٌ إلا النظرُ إليه في القيامة على ما جاء في الآثار الصحاح عن النبي ﷺ وأصحابه وأهل اللسان، وجعَل اللهُ ﷻ الرؤيةَ

لأوليائه يوم القيامة، ومنَعها مِنْ أعدائه، ألم تسمع إلى قوله ﷻ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]. وإنما يحتجِبُ اللهُ عن أعدائه المكذبين، ويتجلى لأوليائه المؤمنين، وهذا معنى قول مالك في تفسيره هذه الآية، وأما قوله في تأويل قول الله ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾. فإن أشهب روَى عن مالك، أنه سَمِعه وسُئل عن قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾. قال: ينظرون إلى الله ﷻ، قال موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. [(١)] وعلى هذا التأويل في هذه الآية جماعة أهل السنة، وأئمة الحديث والرأي.

ذكر أسد بن موسى، قال: حدثنا جرير، عن ليث، عن عبد الرحمن بن سابط في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾، قال: مِنَ النَّعْمَة. ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾. قال: تنظر إلى الله.

قال: وحدثنا حماد بن زيد، عن عطاء بن السائب، عن أبيه قال: صلى بنا عمار بن ياسر رضي الله عنه، وكان في دعائه: «**اللَّهُمَّ إني أسألُكَ النَّظَرَ إلى وجْهِك، والشَّوْقَ إلى لقائِك**»[(٢)].

وقد جاء أن موسى قال له ربه حينئذ: «**لنْ تَراني عينٌ إلا ماتت،**

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٨٧١).

(٢) أخرجه النسائي (١٣٠٥)، وابن حبان (١٩٧١)، والحاكم في المستدرك (١/ ٧٠٥)، وقال: حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، من طريق حماد به مرفوعا.

إنما يراني أهلُ الجنةِ الذين لا تموتُ أعينُهم، ولا تَبْلَى أجسادُهم»[(١)].

وجاء عن الحسن أنه قال:«لما كلَّم موسى ربُّه دخَل قلبَه من السرور بكلامِه ما لم يَدْخُلْ قلبَه مثلُه، فدعَتْه نفسُه إلى أن يُرِيَه نفسَه». وعن قتادة، وأبي بكر بن أبي شيبة، وجماعةٍ مثلُ ذلك.

وذكر سنيد، عن حجاج، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية في قوله: ﴿**تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الأعراف: ١٤٣]. قال: «أول مَنْ آمَن بك أنه لا يراك أحدٌ إلا يوم القيامة»[(٢)]. ولو كان فيها عهْدٌ إلى موسى قبْلَ ذلك أنه لا يُرى لم يسألْ ربَّه ما يعلم أنه لا يُعْطِيه إيَّاه، ولو كان ذلك عنده غير ممكن لـما سأله ما لا يمكِنُ عنده، وأهلُ البدع المخالِفون لنا في هذا التأويل يقولون: إن مَنْ جوَّز مثلَ هذا وأمكن عنده فقد كفَر. فيَلْزَمُهم تكفيرُ موسى نبي الله ﷺ، وكفَى بتكفيرِه كفرًا وجهلًا.

حدثنا محمد بن عبد الملك، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن زياد الأعرابي، قال: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني، قال: حدثنا وكيع، قال: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا جلوسًا عند رسول الله ﷺ، فنظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: «**أما إنَّكم ستُعْرَضُون على ربِّكم**

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠/ ٢٣٥) من حديث ابن عباس مرفوعا.

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٩/ ٥٥) من طريق أبي جعفر به. ولفظه:«إني أول من آمن بك أنه لن يراك أحد قبل يوم القيامة».

فتَرَوْنَه كما تَرَوْن هذا، لا تُضامُّون[١] **في رؤيتِه»**. وذكر الحديث[٢].

قال: حدثنا وكيع، قال: حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عامر بن سعد، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَىٰ﴾ [يونس: ٢٦]. قال: «الجنة». ﴿وَزِيَادَةٌ﴾. قال: «هو النظر إلى وجه الله عز وجل»[٣].

ورواه الثوري، عن أبي إسحاق، عن عامر بن سعد، عن سعيد بن نمران، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه مثله.

وحدثنا إبراهيم بن شاكر، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن عثمان، قال: حدثنا سعيد بن خمير وسعيد بن عثمان قالا: حدثنا أحمد بن عبد الله بن صالح، قال: حدثنا يزيد بن هارون، وأخبرنا عبد الوارث بن سفيان، قال: حدثنا قاسم بن أصبغ، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل الصائغ، قال: حدثنا عفان، وحدثنا عبد الوارث، حدثنا قاسم، حدثنا إبراهيم بن

---

(١) يروى بالتشديد والتخفيف، فالتشديد معناه: لا ينضم بعضكم إلى بعض وتزدحمون وقت النظر إليه، ويجوز ضم التاء وفتحها على «تفاعلون»، «تتفاعلون»، ومعنى التخفيف: لا ينالكم ضيم في رؤيته، فيراه بعضكم دون بعض، والضيم: الظلم. النهاية (٣/ ١٠١).

(٢) أخرجه ابن منده في الإيمان (٧٩١)، والبيهقي في الاعتقاد (ص٥٠)، من طريق ابن الأعرابي به، وأخرجه أحمد (٤/ ٣٦٥)، ومسلم (٦٣٣/ ٢١٢)، وأبو داود (٤٧٢٩)، وابن ماجه (١٧٧)، والترمذي (٢٥٥١) من طريق وكيع به.

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٤٧٣، ٤٧٤)، وابن خزيمة في التوحيد (٢٦٤)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٤٧١)، والآجري في الشريعة (٥٩١) من طريق وكيع به، وصححه الألباني في ظلال السنة (١/ ٢٠٦).

عبد الرحمن، قال: حدثنا عفان بن مسلم وعبيد الله ابن عائشة، قالوا: حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا دخَل أهلُ الجنةِ الجنةَ، وأهلُ النارِ النارَ، نادَى منادٍ: يا أهلَ الجنةِ، لكم عندَ الله موعِدٌ يُرِيدُ أنْ يُنْجِزَكموه. فيقولون: وما هو؟ ألم يُبَيِّضْ وجوهَنا، ويُثَقِّلْ موازِينَنا، ويُجِرْنا مِنَ النارِ، ويُدْخِلْنا الجنة؟ فيَكْشِفُ الحجابَ، فينظرون إليه**» وقال إبراهيم: وقال الآخر: فينظرون إلى الله تعالى- قال: «**فوالله ما أعطاهم اللهُ شيئًا أَقَرَّ لأعينِهم ولا أحبَّ إليهم مِن النظر إليه**». **ثم تلا هذه الآية:** ﴿**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ**﴾ [يونس: ٢٦]»[١]. واللفظ لحديث عبد الوارث، والآثار في هذا المعنى كثيرة جدًّا.

شبهة خامسة والرد عليها:

فإن قيل: فقد روَى سفيان الثوري، عن منصور، عن مجاهد في قول الله عز وجل: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ**﴾. قال: «حسنة». ﴿**إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾. قال: «تنظر الثواب». ذكره وكيع وغيره عن سفيان[٢].

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٣٣٢)، ومسلم (١٨١/ ٢٩٨) من طريق يزيد بن هارون به، وأخرجه أحمد (٤/ ٣٣٣)، والنسائي في الكبرى (١١٢٣٤) من طريق عفان به، وأخرجه أحمد (٤/ ٣٣٢) وابن ماجه (١٨٧)، والترمذي (٢٥٥٢، ٣١٠٥)، من طريق حماد بن سلمة به.

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٩/ ١٩٢) من طريق وكيع به، بلفظ: «تنتظر الثواب».

فالجوابُ أنا لم نَدَّعِ الإجماعَ في هذه المسألة، ولو كانت إجماعًا ما احْتَجْنا فيها إلى قول، ولكن قولُ مجاهد هذا مردودٌ بالسنة الثابتة عن النبي ﷺ، وأقاويلِ الصحابة، وجمهورِ السلف، وهو قولٌ عند أهل السنة مهجورٌ، والذي عليه جماعتُهم ما ثبَت في ذلك عن نبيهم ﷺ، وليس مِن العلماء أحدٌ إلا وهو يُؤْخَذُ مِنْ قوله ويترك إلا رسولَ الله ﷺ، ومجاهدٌ وإن كان أحدَ المقدَّمِين في العلم بتأويل القرآن[1] فإن له قولين في تأويل آيتين هما مهجورانِ عند العلماء مرغوبٌ عنهما؛ أحدهما هذا، والآخر قوله في قول الله ﷻ: ﴿**عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا**﴾ [الإسراء: ٧٩].

حدثنا أحمد بن عبد الله، حدثنا أبو أمية الطَّرَسُوسيُّ، حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا محمد بن فضيل، عن ليث، عن مجاهد: ﴿**عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا**﴾ [الإسراء: ٧٩]. قال: «يوسعُ له على العرش فيجلسه معه»[2].

وهذا قول مخالف للجماعة من الصحابة ومَنْ بعدَهم، فالذي عليه العلماءُ في تأويل هذه الآية أن المقامَ المحمودَ الشفاعةُ، والكلامُ في هذه المسألة مِنْ جهةِ النظرِ يطولُ، وله موضِعٌ غيرُ كتابنا هذا، وبالله التوفيق.

---

(١) هو مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي تلميذ ابن عباس، قال قتادة: «أعلم من بقي بالتفسير مجاهد». ينظر تهذيب الكمال (٢٧/ ٢٢٨)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٤٩).

(٢) أخرجه الخلال في السنة (٢٤٢، ٢٨٢) من طريق عثمان بن أبي شيبة به، وأخرجه ابن أبي شيبة (٣٢٢٤٩)، وابن جرير في تفسيره (١٥/ ١٤٥) من طريق محمد بن فضيل به.

حدثنا عبد الوارث بن سفيان، حدثنا قاسم بن أصبغ، حدثنا أحمد بن زهير، حدثنا الهيثم، بن خارجة، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، قال: سألت الأوزاعي، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، وليث بن سعد - غيرَ مرَّةٍ - عن الأحاديث التي فيها ذكرُ الرؤية، فقالوا: أَمِرُّوها كيف جاءت بلا كيف[(١)].

---

(١) تقدم تخريجه في (ص٦٢).



٨ـ فضيلة الاستغفار والدعاء في الثلث الآخر من الليل

وفي هذا الحديث أيضًا دليلٌ على غفران الذنوب، وإجابة الدعوة، ودليلٌ على أن مِن أجزاء الليل وقتًا يُجابُ فيه الدعاء، ولكن مِن مقدار ثلث الليل الآخر، وقد قيل: مِنْ مقدار نصف الليل إلى أخره. وكل هذا قد رُوِي في أحاديث صحاح، ولم يزل الصالحون يَرْغَبُون في الدعاء والاستغفار بالأسحار لهذا الحديث، ولقوله ﷻ: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧].

حدثنا أحمد بن عبد الله بن محمد، قال: حدثنا الحسن بن إسماعيل، قال: حدثنا عبد الملك بن بحر، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل، قال: حدثنا سنيد بن داود، قال: حدثنا هشيم، قال: أنبأنا عبد الرحمن بن إسحاق، عن محارب بن دثار، عن عمه قال: كنت آتى المسجد في السحر فأَمُرُّ بدارِ ابنِ مسعود رضي الله عنه فأَسمعُه يقول: «اللهم إنك أَمَرْتَنِي فأَطَعْتُ، ودعَوْتَنِي فأجبتُ، وهذا سَحَرٌ فاغْفر لي». فلقِيتُ ابنَ مسعود رضي الله عنه فقلتُ: كلماتٌ أسمعُك تقولهنَّ في السَّحَرِ؟ فقال: «إنَّ يعقوبَ أَخَّر بَنِيه إلى السَّحَرِ»[١].

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (١١٤٤)، والطبراني (٩/ ١٠٤) من طريق هشيم به، وفي إسناده عبد الرحمن بن إسحاق، قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٣٨): «ضعيف».

وعن أحمد بن محمد، قال: حدثنا أحمد بن الفضل، قال: حدثنا محمد بن جرير، قال: حدثنا سلم بن جنادة السوائي[(١)]، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: سمعت عبد الرحمن بن إسحاق يَذْكُرُ عن محارب بن دثار قال: كان عمى يأتي المسجد فيسمع إنسانًا يقول: اللهم دعوتني فأجبتُ، وأمرتني فأطعتُ، وهذا سَحَرٌ فاغفر لي. قال: فاستمع الصوت فإذا هو مِنْ دار عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فسأل عبدَ الله عن ذلك، فقال: «إن يعقوب عليه السلام أخَّر بَنِيه إلى السحر بقوله: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾»[(٢)]. [يوسف: ٩٨].

وروى حماد بن سلمة، عن الْـجُرَيْري، أن داود عليه السلام سأل جبريل فقال: أيُّ الليل أسمعُ؟ قال: لا أدري، غيرَ أنَّ العرشَ يَهْتَزُّ في السَّحَرِ[(٣)].

---

(١) الذي عند ابن جرير: حدثني أبو السائب. أ هـ، وأبو السائب هو سلم بن جنادة بن سلم السوائي، ينظر تهذيب الكمال (١١/ ٢١٨).

(٢) ابن جرير في تفسيره (١٣/ ٤٦).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٥٢٥٥) من طريق حماد به.



الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة

هذا الكتاب طبعتْــه دار اليسر – مصر – القاهرة – مدينة نصر ،

وحقوق الطبع محفوظة لها

ط ١

ورجاء لا تنسوا من صوَّر لكم هذا الكتاب من صالح دعائكم بحسن

الخاتمة

أخوكم /

راجي حسن الخاتمة